



## نجيب الريكانى

### ناظر مدرسة الضحك فى الزمن الباكى

- الشيخ بحر علمه اللغة، والفرنسية وسعت نطاق مداركه..
- كشكش بيه.. أشهر شخصياته.
- قال عن نفسه، «أنا شربة مرة فى برشامة حلوة».
- كان ينقب فى هموم الناس ويعرضها ضاحكة
- فى ٢٤ سنة قدم ٨٠ مسرحية و «أوبريت، و٩ أفلام
- دورجاد يضجر الصالة بالضحك.
- أقعده، التيفونيد، وقتله العلاج الأمريكى.



ربما كان نجيب الريحاني بسيطاً في مظهره وهيبته، لكنه كان العملاق الأكثر تأثيراً على مدى ثلاثين عاماً، في فن الأداء الكوميدي، فهو «ناظر» مدرسة الضحك، التي تخرج فيها عباقرة الكوميديا العربية، الذين جاءوا من بعده وأبرزهم إسماعيل ياسين، وعادل خيرى، وحسن فايق وعبد السلام النابلسى، وغيرهم.

استطاع الريحاني بخفة دمه، أن يصل بفنه إلى البسطاء، وعبر بالضحكة عن أعماقهم وجعل الدموع تسيل من عيونهم. وظل نجيب الريحاني يضحك الناس حينما كانت حياتهم كلها حزناً وهماً وألماً.

ملك الريحاني بأدائه البسيط المعجز القلوب في مسرحياته الكثيرة وفى أفلامه القليلة. ولو شهد زمن التلفزيون لكان ملك الكوميديا بلا منازع، فهو لم يكن يلقي «النكات» بل كان ينقب فى هموم الناس ويعرضها ضاحكة.

بدأت موهبة الفنان الريحاني من المدرسة حيث أهلته دراسته الفرنسية للتعرف إلى عيون الأدب العالمى، وتنمية حسه الدرامى، وكان للشيخ «بحر» مدرس اللغة العربية. دور مهم، فى صقل مواهب الريحاني، خاصة فى الإلقاء والتلوين الصوتى، والإحساس بمعنى الكلمات والتعبير عنها، وهى الروافد التى أطل الريحاني منها بعد ذلك، على الناس.

ترك الريحاني المدرسة بسبب رحيل والده، والتحق بوظيفة فصل منها لاحقاً بسبب عشقه التمثيل. ثم التحق بالعمل فى مسرح عزيز عيد، وظل ينتقل من فرقة إلى أخرى ويجرب حظه فى «التراجيديا» تارة والكوميديا طوراً، إلى أن اخترع شخصية، كشكش بك، واستقر على الكوميديا.

اسمه الحقيقي نجيب إلياس ريحانة، ولد سنة ١٨٩٠م، وعاش صباه فى حى باب الشعرية، الذى شهد مولد ونشأة الفنان محمد عبد الوهاب، ومن قبله يعقوب صنوع، وكان والده تاجراً للخيل فى نجع حمادى فى الصعيد، وتزوج بقاهرة تدعى «لطيفة» وانتقلا معا إلى القاهرة واستقر المقام بهما بين «الطشطوشى» و «باب الشعرية»، تجرى فى عروق الريحانى دماء مشرقية، حيث كان أجداده يعيشون فى بلاد ما بين النهرين.

التحق نجيب الريحانى فى صباه بمدرسة الفرير، وأجاد فى شبابه اللغة الفرنسية، مما كان له عظيم الأثر فى ثقافته المسرحية والفنية. فقرأ مولير وفكتور هوغو وفولتير وإميل زولا وجان جاك روسو.

### ملك النمسا وصلاح الدين

ولم يكن طريق الفن ممهداً وبسيطاً أمام الريحانى فقد بدأ طريقه فى المسرح مع التراجيديات فى «مسرح جورج أبيض» فى مسرحية «صلاح الدين الأيوبي» وقام فيها بدور «ملك النمسا» ورغم جدية الدور والأداء إلا أن الجمهور ضج بالضحك، واندفع إليه «جورج أبيض» نائراً، كأنما ضحكة تكاد تقفز إلى شفثيه وصرخ فى وجهه «ويل لملك النمسا من قلب الأسد».

وفُصل الريحانى على أثرها من المسرح، وبات يعانى البطالة بعد أن أغلقت المسارح أبوابها فى وجهه، وأخذ يتسكع بين المقاهى مع الممثلين المفلسين ومنهم «أمين صدقى» واستيفان روستى وحسن فايق» إلى أن منحهم صديق ثرى عشرة جنيهات كونوا بها فرقة «الكوميديا العربية» عام ١٩١٥. تحت إشراف عزيز عيد.

وعلى مدى ٣٤ عاما قدم الريحانى ٨٠ مسرحية و«أوبريت» إضافة إلى أفلامه السينمائية، التى بدأها بفيلم صاحب السعادة كشكش بيه ثم فيلم «ياقوت أفندى» وختمها بدور فى «غزل البنات» وكان توأمه فى مشواره الكاتب الساخر «بديع خيرى» وقد شهدت الكوميديا بداية العام ١٩١٥، تطوراً كبيراً من كوميديا «الفصل المضحك» إلى «الاستعراض» ثم «الأوبريت» ثم الكوميديا التى تختص بمغزى أخلاقى واجتماعى جاد.

وابتكر الريحاني شخصية كشكش بك، التي كانت سبباً في شهرته، واشترك مع سيد درويش في التعبير عن أحداث ثورة ١٩١٩ في أوبريت «العشرة الطيبة»

## بساطة

لم يكن أحد يدري أن موظفاً في شركة السكر في «نجع حمادى» اسمه نجيب الريحاني، سيجعل الفلاح والعامل ورجل الشارع يشاهدون صورهم في مسرحيات اجتماعية معاصرة، في وقت كان اهتمام الفن مقصوراً على الطبقات الأرستقراطية، وعندما استقال هذا الموظف البسيط بسبب هواية التمثيل، ذهب إلى المسرح ليجسد دور الإنسان المصرى البسيط ويعلن عن بدء فن الكوميديا المصرية.

وأعاد الريحاني سنة ١٩٣١، كتابة مسرحية «نوبار» لمارسيل بانول. وعربها وقدمها تحت عنوان «الجنه المصرى» وهى كوميدى سخر فيها من مظاهر الفساد والفوضى قبل الثورة. وواصل التقدم حتى وصل إلى مرحلة الازدهار والانتشار، وظهر ذلك مع مسرحية «الدنيا لما تضحك»، التى كتبها عام ١٩٣٤ متجهاً فيها إلى النقد الاجتماعى الساخر، لكن بهدوء واضح حتى لا يعمل على إثارة الفقراء ضد الاغنياء، وكانت قمة الاكتمال الفنى فى أعماله فى آخر مسرحياته الكوميديية، التى حملت عنوان «سلاح اليوم» وقدمها عام ١٩٤٦، حيث جمعت بين السخرية والشفقة والفكاهة، وإن لم تخل من نغمة كآبة واستسلام.

## الممثل الثائر

أما الجانب السياسى من حياة الريحاني فقد لا يعرفه إلا القليل من الناس، فكثيراً ما خرجت التظاهرات السياسية من مسرحه، مطالبة بالحرية والاستقلال متأثرين بما قدمه من مسرحيات، وكانت وطنيته سبباً فى أن «الملك فؤاد» رفض منحة درجة «البكوية» رغم أنه يستحقها. مثل «يوسف وهبى» و «سليمان نجيب»

وإن كانت «سرايا» الملك بررت ذلك بالقول إن وهى ونجيب من أبوين يحملان رتبة «باشا».

وكانت رسالة الريحاني كما يقول عن نفسه: «شربة اجتماعية مرة فى برشامة ظاهرها إضحاك الناس على آلام الناس، فإذا خلوا لأنفسهم تمنعوا فبكوا من الألم، وهنا يبدأ مفعول البرشامة فى تنظيف النفوس. لا البطون» فقد كان الريحاني يسيطر تماماً على جمهوره لأنه ممثل نادر.

### نصف نجيب الآخر

فى حياة نجيب الريحاني حبان: الأول لصديقه ورفيق مشوار نجاحه بديع خيرى، والثانى لزوجته بديعة مصابنى.

تعرف الريحاني على بديع خيرى من خلال جورج شفتشى، الذى ادعى أنه يجيد كتابة الزجل فعينه الريحاني فى فرقته، إلى أن اكتشف أن كاتب الأزجال الحقيقى هو بديع خيرى، وأنه أعطاها لشفتشى لحاجته إلى المال، وبتعارف الريحاني وبديع عرفت الدراما المصرية أفضل ثنائى فنى، وأخذ الريحاني يبنى ثمار هذا النجاح حتى نهاية حياته سنة ١٩٤٩م فى السينما والمسرح. بل إن الفترة التى افترق فيها الرجلان سنة ١٩٢٧ تقريباً. هى ذاتها التى شهدت الأشهر العجاف فى مشوار النجم الكبير، بعد أن ذاق حلاوة النجاح، واضطر أثرها إلى العودة إلى بديع خيرى وتكوين فرقتهما المشتركة واقتسام الحياة معاً. وهى الفرقة التى ظلت تحمل اسم الريحاني حتى بعد وفاته، وظل بديع يديرها بإخلاص حتى وفاته سنة ١٩٦٦.

أما اللقاء الأول بين الريحاني وبديعة مصابنى، فيقول عنه نجيب «أثناء عملى فى روية، ٢٤ قيراط، دخلت إلى غرفتى فتاة، شعرها طويل يكاد يصل إلى الأرض، وعيناها فيهما صواريخ تضرب على بعد عشرين متراً، شفتاها لو عصرتا تخران عناباً، تتكلم وكأنها تغنى وتغنى وكأنها تتكلم. خفيفة الدم، حاضرة النكتة. وجريئة وكأنها تعرف أسلحة الجمال التى فى جسدها».

وقفت أتساءل: «هل هي من لحم ودم وعظم مثلنا؟ هل تأكل وتشرب مثل سائر البشر؟ هل في جسمها فشة وكرشة ومرارة وطحاح وكبد وبنكرياس مثلنا؟ شعرت لحظتها بأن غداها من حبات القلوب، وعشاءها من فرط الرمان. وريقها من عصير التفاح، ودموعها من ماء الورد، وعرقها من شربات اللوز، وغسيل قدميها من العرقسوس».

كانت هذه نظرة نجيب الريحاني إليها في لقائهما الأول وقد قرر بعد ذلك أن يضمها إلى فرقته تمهيداً لضمها إلى صدره، فقد أحبها من النظرة الأولى، إلى أن تم الزواج سنة ١٩٢٤م.

وكان المسرح يعانى من أزمة كبيرة باستثناء مسرح رمسيس، وكان الريحاني يبحث عن مخرج ينقذه وفرقته، وفي هذه الأثناء عرض عليه مغترب عربى مقيم فى البرازيل أن يقدم عدة عروض هناك مقابل مبلغ ضخم من المال، وعندما استعد الريحاني إلى السفر، رفضت بديعة، التى كانت قد أصبحت ممثلة الفرقة الأولى، أن تسافر إلا إذا تزوجها نجيب الريحاني، فأخبرها بأن هذا ما كان يحلم به، وبالفعل تم الزواج سنة ١٩٢٤، وسافرا إلى البرازيل واستمر زواجهما حوالى عشر سنوات.

### طفل فى كواليس الريحاني

كان الريحاني يأتى إلى مسرحه راكباً حنظوراً. وكانت الجماهير تلتف حوله كل ليلة. بينما كان طفل صغير يلبس «جلباباً وصندلاً» يراقب الريحاني بإعجاب شديد من الرصيف المقابل.

ونزل الريحاني مرة من الحنطور واتجه مباشرة نحو الطفل الذى لم يصدق نفسه من أثر المفاجأة. وأمسك الريحاني بيده. واصطحبه إلى المسرح، وطلب حجز كرسى له فى الصف الأول فرفض الطفل، وطلب منه أن يقف فى «الكواليس»، ورغم أن ذلك كان ممنوعاً، إلا أن الريحاني حقق للطفل رغبته وأعطاه نصف «فرنك» بعد انتهاء الحفلة.

وكان ذلك الطفل هو «محمد أبو الحسن» فنان الكوميديا المعروف.

### مسرح المرآب

فكر نجيب الريحاني في بداية حياته الفنية في أن يكون فرقة خاصة لحسابه، وكانت المشكلة الأولى هي المكان الذي تعمل فيه الفرقة، وقد وجد حلاً لهذه المشكلة في مرآب للسيارات يقع في «حى الفجالة» فاستأجره وحوله إلى مسرح بدائي، خشبته عبارة عن مجموعة من الطاولات المرصوصة. أما الكراسي فكان على كل متفرج أن يحضر معه كرسية.

وكانت أول مسرحية قدمها عليه هي «خلى بالك من إبليس» وأخرجها له عزيز عيد.

### المشهد الأخير

تدهورت صحة الريحاني سريعاً، وفي الأيام الأخيرة من شهر مايو، وأوائل يونيو سنة ١٩٤٩ أنهى عروض مسرحه في الإسكندرية، وعاد إلى القاهرة ثم دخل المستشفى اليوناني في العباسية مصاباً بمرض «التيفوئيد» وعالجه الطبيب المعالج الدكتور محمود أبو بكر الدمرداش بك، أستاذ الأمراض الباطنية في كلية طب «العباسية» التي أصبحت كلية الطب في جامعة عين شمس. وأطلق اسمه على مستشفاه «مستشفى الدمرداش»

وقال الدمرداش إن الريحاني كان مصاباً منذ أشهر بأزمة قلبية، ثم تعرض لنزلة شعبية حادة أي أن قلبه ورتتيه كانت عليلاً أيضاً، بجانب إصابته بالتيفوئيد. وقيل للريحاني أن شفاؤه من التيفوئيد في دواء جديد اسمه «رومايسين» وأنه لا يوجد إلا في الولايات المتحدة الأمريكية.

تدخل مكرم عبيد باشا. وزير المالية آنذاك، وأمر بإحضار الدواء بالطائرة. وإعفائه من الجمارك. حتى يخرج سريعاً من المطار إلى المستشفى، أملاً في إنقاذ حياة النجم الكبير.

ووصل الدواء بالفعل، ولكن قبل أن يتناول الريحاني جرعة «الكرومايسين» حذره مدير المستشفى من ذلك، وقال إن الأدوية الأخرى تعطي نتائج طيبة، حتى ولو كانت بطيئة. لكن الريحاني، الذي يتعجل الشفاء صمم على أخذ الجرعة، فحدث له على الفور جلطة في القلب، توفى على أثرها.

وبكت الملايين في مصر والشرق. موت الفيلسوف الساخر والحكيم المرح. وشيخ جثمانه يوم الخميس التاسع من يونيو ١٩٤٩.

ووجدت في شقته بعد وفاته نسخة من القرآن الكريم، وصورة الراهبة تيريزا، ومذكرات تشرشل بالفرنسية، وكتاب حسن البيان في تفسير مفردات القرآن، وأعمال شكسبير، وألفية ابن مالك، و ٤٤ بدلة، و ٢٠ بيجاما وجلباباً، و ١٥ حذاء، وظلت كلبته الوفية «تيا» مضربة عن الطعام حزناً عليه، حتى ماتت بعده بأيام.

وتعلقت قلوب الناس به لأنه كان متعلقاً بشخصية «ابن البلد» بأصالتها، فكان انعكاساً للإنسان المصرى البسيط، وكان الريحاني دائماً يؤكد ذلك، حيث قال حتى عندما أفلس وفشل أكثر من مرة في المسرح: «أنا مدين بمكانتى وفنى ونجاحى لاستاذى العظيم جداً وهو (الفقر)، وبذلك استحق الريحاني أن تطلق الدولة اسمه على أحد شوارع العاصمة، وعلى مسرحه في شارع عماد الدين.

## أفلام الريحاني

قدم نجيب الريحاني. للسينما تسعة أفلام كان أولها سنة ١٩٣١، وآخرها سنة ١٩٤٩:

\* «صاحب السعادة كشكش بيه» (١٩٣١): قصة وحوار نجيب الريحاني وبديع خيرى، وإخراج استيفان روستى وتوليو كاباريني، وتمثيل الريحاني، وانصاف رشدى، واستيفان رستى وحسين رياض وفوليت، وشرفنطح، وسيد سليمان وجبران نعوم. وكان الفيلم صامتاً ثم قُدم ناطقاً عام ١٩٣٤ باسم «حوادث كشكش بيه»

\* «ياقوت (١٩٣٤): حوار نجيب الريحاني وبديع خيرى، إخراج إميل روزين، وتمثيل: الريحاني، وإيمى بريفان، وناهد كمال، وإدمون تويما، وبديع خيرى.

\* «سلامته عاوز يتجوز» (١٩٣٦): قصة وحوار نجيب الريحاني وبديع خيرى وسيناريو وإخراج الكسندر فاركاش. وبطولة الريحاني وعزيزة أمير، وعبد الفتاح القصرى، وحسن فايق وزينات صدقى، وبشارة واكيم وفتحية شريف، وزكريا أحمد وبهيجة أمير ومحمد مصطفى، ومارى منيب.

\* «سلامة فى خير» (١٩٣٧): قصة وحوار الريحاني وبديع خيرى، سيناريو وإخراج نيازى مصطفى وبطولة الريحاني، وراقية إبراهيم. وحسين رياض، وميمى شكيب، وروحية خالد، وفؤاد شفيق، وشرفنطح. واستيفان روستى. وحسن فايق، وفردوس محمد، ومنسى فهمى.

\* «سى عمر» (١٩٤١): سيناريو وإخراج نيازى مصطفى وقصة وحوار الريحاني وبديع خيرى، تمثيل: نجيب الريحاني، وميمى شكيب، وشرفنطح، وعبد الفتاح القصرى، ومارى منيب، وسراج منير، وعبد العزيز أحمد، واستيفان روستى.

\* «العبة الست» (١٩٤٦): سيناريو وإخراج ولى الدين سامح، وقصة وحوار نجيب الريحاني وبديع خيرى تمثيل: الريحاني، وتحية كاريوكا، مارى منيب، وعبد الفتاح القصرى، وعزيز عثمان، وحسن فايق، وبشارة واكيم، وسليمان نجيب، وسعيد أبو بكر.

\* «أحمر شفایف» (١٩٤٦): سيناريو وإخراج ولى الدين سامح، قصة وحوار نجيب الريحاني وبديع خيرى، تمثيل: نجيب الريحاني، ساميه جمال، وزوزو شكيب، عفاف شاکر، نبيل خورى، وداد حمدى، عبد العزيز خليل، صالحه قاصين وفؤاد شبل.

\* «أبو حلموس» (١٩٤٧): سيناريو وإخراج إبراهيم حلمى، وحوار نجيب

الريحاني وبديع خيرى، تمثيل: الريحاني وزوزو شكيب، وعباس فارس، ومارى منيب، وحسن فايق. واستيفان روستى، ومحمود الديب.

\* «غزل البنات» (١٩٤٩): فكرة وسيناريو وإخراج أنور وجدى، قصة وحوار نجيب الريحاني وبديع خيرى، تمثيل: الريحاني، وليلى مراد وسليمان نجيب، وعبد الوارث عسر، وفردوس محمد. ومحمود المليجى، وزينات صدقى، واستيفان روستى، وأنور وجدى ويوسف وهبى، وفريد شوقى، وسعيد أبو بكر.

### إيمى بريفان

كانت الممثلة الفرنسية، إيمى بريفان، تشارك مع الريحاني فى بطولة مسرحياته، وقد أشركها فى فيلم «ياقوت» الذى أخرجه الفرنسى «روزين». الذى كان يعمل مهندساً للمناظر فى فرقة الريحاني.